‘Yandoto Academic Journal of Arabic Language and Literature
ISSN: 2714-4712 (Print & Open Access)
https://easpublisher.com/journal/yandoto/home

دور لمعاجم في تطوير اللغة العربية لغير الناطقين بها

إعداد

سفيان صالح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الملخص:

ترد في طيّات هذه الورقة نشأة المعاجم إلى صناعتهما، بالنظر إلى الأمة العربية سابقا بأنها لا تعتمد على معاجم أو قواميس، وإنما يعتمدون على ذاكرتهم وأذواقهم ومواهبهم القطرية إعتمادًا كليًّا إلى أن دعت الحاجة إلى إيجاد معجم الذي هو وسيلة من وسائل التعليم والتعلم متميزًابترتيب معيّن يبين معاني الكلمات أو يشرحها أو يكشف مالها من غموض، إلى أن اصطُلح الأمر الذي يناسب هذا المجال بكلمة (معجم) فأصبح اسم مثل هذا الكتاب "المعجم" حيث إن الكلمة يراد بها: "الشئ المبهم" يعني "عَجَمَ"، بينما إذا قيل: "أعجم" يُقصد بها الكشف والإيضاح، مفسِّرًا لألفاظ اللغة العربية مع ضبط الكلمات للنطق السليم حتى يسهل إدراك معناها وهي على أنواع من معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني، وتحت هذين النوعين تقسيمات أخرى لاعتبارات معيّنة كلٌّ على منهجه، مع ذكر أول من ابتكر المعجم، الذي هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي هداه عقله إلى منهج معين ترك للناس علمًا في ذلك.

المقدمة:

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على مصدر الفضائل ومنبع العلوم الهادي إلى مسلك السعادة الأبدية، سيدنا وحبيبنا المصطفي ﷺ.

النشأة والوضع:

وبالنظر إلى العصور السابقة من عصور الترجمة الأولى من عصر الأموي والعباسي في الماضي، لاتعتمد الأمة العربية الإسلامية على المعاجم أو القواميس وذلك لأن شيئا من هذا لم يكن موجود في اللغات التي ينقلون منها، كالفارسية والهندية والسريانية واليونانية وغيرها من اللغات، وإنما كانوا يعتمدون إعتمادا كليّا على أذواقهم ومواهبهم وعلى ملكاتهم حين إدراكهم لمعاني الكلمات من حيث ما يراد بها، بالإضافة إلى قدرتهم اللغوية الفائقة، وخاصة في الاشتقاق والتصريف، [1] إلا أنه لم يزل الزمن بدَوْرانه إلى أن تحوّل وخيّم على العالم العربي والإسلامي نوع من الركود الحضاري، ولما انكشف الظلام الراكب أصبح علماء العربية في نشط وحركة علمية التي توصلت بهم إلى فن المعاجم بحيث تتابعت جهودهم العلمية، وكتبوا الرسائل اللغوية التي تعتبر معاجم متخصصة تدور حول موضوع واحد، ثم أُلّفت الموسوعات المعجمية الضخمة، التي دفعتهم إلى غريزة حب العربية حتى تفتحت أذهانهم للإبداع.[2]

وإذا نظرنا إلى الحالة التي أصبحت هذه اللغة الرشيفة الحية من حكمة ودقة وتسلسل العبارات وتنسيق المعاني اللطيفة يوجد فيها من الحكمة والرقة ما يمتلكه جانب الفكر حتى تكاد تنقاد إلى سحر القول والبيان.[3] وهكذا يستفيد بها غير الناطقين بها.

وقد لعب العرب دورًا في تصنيفهم المعاجم العربية قديمًا وحديثًا حيث إن العرب والعجم إعترفوا بذلك، وكان فخرًا واعتزازًا لهم.[4]

مادة "المعجم" من حيث المعنى:

تشير الكلمة إلى معنى الكشف والإبهام حسب ما استعملت، وهي (أعجم) تحمل معنى أزال إبهامه بالنقط والشكل، إذا قلنا: عَجَمَ الحرف والكتاب عجمًا وعجومًا، كما يقال: "عَجُمَ" فلان عُجْمَةً كان في لسانه لكنة، ويقال كذلك: عجم فلان الكلام إذا لم يكن فصيحًا، فهو أعجمي. وأعجم الكلام أبهمه وذهب به إلى العجمة خلاف العرب. [5] وجمع المعجم تطلق على المعاجم وهو المشهور، إلا أن الأصح: المعجمات. [6]

يبدو من خلال هذه التعبيرات من الألفاظ والجمل أن معنى الكلمة قد كانت موافقة للمعنى المراد بها، حيث إن الإبهام والكشف كلمتان متضادان في المعنى إلا أن طريقة استعمال هي التي توضّح معنى المراد بها، وذلك حتى يظهر المعنى جليًّا، وكثيرًا ما نستعمل الكلمة المقرونة بالهمزة التي تسمى همزة النقل والإزالة، لأنها تُزيل معنى العُجمة حيث يقال: أعجمتُ الكتاب بالنقط والشكل، أي جعلته واضح المعنى، ثم نفت هذا الإبهام. ولذلك كان تسمية نقط الحروف بـ"الإعجام" ومن هنا قول ابن جني: "ثم إنهم قالوا أعجمت الكتاب إذا بينته وأوضحته، فهو إذًا لِسلْب معنى الإستبهام لا لإثباته" [7] كما يقول ابن منظور عن ذلك: "الأعجم الذي لا يفصح ولا يبيّن كلامه وإن كان عربي النسب، وأعجمت الكتاب ذهبت به إلى العجمة" [8] لأنها أزالت الإبهام والغموض وأصبحت الكلمة واضحة المعنى.

يتبين من هذا أن "المعجم" الذي هو الكتاب المسمى بهذا المصطلح يجمع كلمات لغة ما ويشرحها ويوضح معناها، كما يرتبها بشكل معين. [9]

معجم العربي ومفهومه:

المعجم عبارة عن وسيلة من وسائل التعليم الأساسي الذي يحتوي على مشروع ثقافي وحضاري للمجتمع حيث أن المعجم يحتوي على مفردات اللغة أو المصطلحات علمية لمعارف معينة، كما أنه يوصّل ماض الأمة بحاضرها. وقد شهدت الفترات الزمنية الماضية التطورات الواصلة بصناعة فن المعاجم التراث (العربي والإسلامي) قديمنا فهما أصيلا عبر هذا الكتاب الذي يضمّ مجموعةً كبيرةً من مفردات لغة لبيان معاني تلك المفردات والإبانة عن صعوباتها [10] كما يُعدّ بأنه مرجع من مراجع التي تشتمل على كلمات لغة ما، أو مصطلحات علم ما، وهو الذي يقوم بترتيب الكلمات أو مفرداتها أو نظيرها أو يبين كيفية أشتقاقها أو استعمالها أوبيان معانيها المتعددة والكشف عن الألفاظ الغامضة. [11]

وظائف المعجم:

تهتم المعاجم أو المعجمات اللغوية بأنهم وطائف من بيان معنى الكلمة أو معانيها حيث إن المعجم يُعين الباحث وغير العرب على التعرف على اللفظة ويشرح له دلالاتها أو يوضح مجموعة من الألفاظ التي يجمعها موضوع واحد، إما أن يكون ذلك العصر الذي أُلف هذا المعجم أو مع تتبُّع معانيها عصرًا بعد عصرٍ، كما يقوم المعجم أيضا ببيان الدخيل والمولّد في اللغة التي بموجب هذا البحث على أن ذلك أمرٌ مهمٌ في وظيفة اللغة، وخاصة لمستخدميها سواء من أهلها أو من غير أهلها حيث أنهم بحاجة ماسة إلى معرفة معاني بعض الكلمات أو المصطلحات العربية لكي يستخدمون اللغة مثل أهلها الأصليين الذين كان بينهم تقارب في استخدامها. [12]

وما من شكٍّ في أن القيام بتذليل صعوبات الألفاظ والكلمات والجمل التي لم تكن مفهومة لدى القارئين من الباحثين أمرٌ يسهّل عليهم تناول الكلمات في الجمل والعبارات من حيث الاستعمال.

كما أنه يحدّد المعجمُ وظيفة معانٍ مركزية إلى المعاني المكتسبة بالإضافة إلى الوظائف الصرفية والنحوية في الكلمة إسمًا أو فعلاً أو حرفًا أو غير ذلك من ضبط الكلمة عينِها. وعلى سبيل المثال كلمة

"صعُب" و "سهُل" يشير المعجم بأنهما أفعال ثلاثيةٌ من باب كرُم يتم توضيح الكلمة عن طريق قضية صرفية، أو نحوية (13) إن كان الضبط في آخر الكلمة، أو الإشارة بأنه من أسماء الشرط أو بردّ الكلمة إلى أصلها مصدرًا، وبيان اشتقاقات الكلمة المستخدمة أو بأنها جمعًا أو متعديً أو لازمًا، وهو عبارة عن كشكول لمفردات لغة من اللغات التي كُتب عنها. ومن ضمن الوظائف التي يقدمها المعجم معلومات ثقافية وغيرها من معرفة كيفية كتابة الكلمة وضبطها صوتيا، والاجتماعيًا التي تتعلق بالمعاني المتداخلة لتطور الحياة أو تقدمها.

أنواع المعاجم:

تتنوع المعاجم باعتبار اللفظ والمعنى إلى نوعين من المعجمات، المتداولة بين العرب وغير الناطقين بلغة العربية:-

النوع الأول: معاجم اللغوية أو الأبجدية التي تسمى أيضا بالمعاجم المجنسة، وهي تشرح الألفاظ وتعالجها من ضبطها وبيان أصلها ومشتقاتها مع الإشارة إلى مدلولاتها من حيث المعنى بناء على كيفية استعمالها المتعارف عليه، ليستعين بها الباحث للوصول إلى ذلك المدلول المتعارف عليه، سواء كان نظامه (14) ألفبائي أو الأبجدية الصوتية تسمى بالمعاجم الألفاظ لأن ترتيب كل قسم منها له نظامه الخاص، كما أن نظام الذي قام به الفارس الأول والعبقري العربي في هذا المجال بالذّات هو نظام الأبجدية الصوتية، وهناك عدد من المؤلفات على هذا النحو من المنهج، ويطلق على أمثال هذا النوع التي تعالج الألفاظ بمعاجم الألفاظ وهي ثلاث ترتيبات: الترتيب الصوتي، والترتيب الهجائي، والترتيب البنائي.

النوع الثاني: معاجم المعاني:

وتسمى أيضا بالمعاجم الموضوعات أو المعاجم المبوّبة التي تهدف إلى جمع الثروة اللغوية في مجموعات من الكتب أو الألفاظ التي تنسبُ في قالب واحد أو تحت حقول دلالية، حسب المجالات، كما أنها تُجمع في رسائل أو كتب أو أبواب من كتب، ويوجد صنع ذلك في كتاب أبي زيد الأنصاري (ت 215هـ) في كتابه المطر، والأصمعي (ت 216هـ) في كتابه الدارات والبنيات والشجر والنخل والكرم والوحش، ويوجد أمثال هذه المفردات في معجم الأشباه والنظائر، وفي القرآن الكريم ومعجم المترادفات، لأن المدونين السابقين يهدفون إلى تقييد الألفاظ خوفا من ضياعها وتقييدًا لأجزائها في مَنْسَبٍ واحد.(15)

منهج المعاجم في ترتيب _الحروف والكلمات):

وهنا تقسم المعاجم إلى أقسام تحت نوع واحد من نوعين السابقين، بحيث أن المعاجم المسمى بالمعاجم اللغوية تعالج من ناحية ألفاظها التي هي الترتيب الصوتي- والترتيب الهجائي العادي- والترتيب البنائي.

وتجد في الترتيب الصوتي: أن الألفاظ أو الأصوات قد رتبت أول من رتبها على مدارج الصوت الإنساني مبتدئا بأقصى الحلق، متدرّجا أيضا من أقصى الحلق إلى نهاية الشفتين، حين قسّم الخليل أصوات اللغة (بناء على هذا) إلى مجموعات تتقارب حروف كل منها مخرجها، بدأ بالعين "ع ح هـ خ غ-ق ك – ج ش ض – ص س ز – ط ت د – ظ ذ ث – ر ل ن - ف ب م – و ي. والمعاجم التي كان ترتيبها على هذا النحو: معجم العين: لخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى 175هـ. وتهذيب اللغة، للأزهري وهو محمد بن أحمد بن أحمد الأزهري تـ 31هـ. الترتيب الهجائي العادي: كان ترتيب الألفاظ فيه إلى الحرف الأول من غير النظر إلى مخرجه الصوتي من الزوائد، والتي على هذا النحو مثلا:

أ- معجم الجيم أوكتاب الجيم. إسحاق بن مرار الشيباني

ب- جمهرة اللغة، لأبي بكر بن دريد تـ 321هـ(16)

الترتيب البنائي:

يعتمد هذا الترتيب على ترتيب بناء الكلمة بالنظر إلى أصول كلماتها الأساسية من أحرفها الصحيحة والمعتلة ومثل هذا المعجم:

أ- معجم مقدمة الأدب، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفي 537هـ.

ب- معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي المتوفى 350هـ. (17)

النوع الثاني: وهو معجم المعاني شأنه أنه يتناول الألفاظ أو الكلمات بالربط بعضها عن بعض في قالب واحد إلا أن المعاني من هذه الكلمات تختلف في اللفظ والمعنى. وصنف في ذلك الأصمعي: كتاب الدارات والنبات والشجر والنخل والكرم والوحش، وعلى ذلك كتاب أبي عبيدة: القريب المصنف. وابن سيده في المخصص، المتوفى 458هـ. ومعجم كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ، لأبي إسحاق ابن إبراهيم بن إسماعيل. وكذلك المعجم الترجمة لتخصصات كالمعجم في العلوم الزراعية، ومعجم الهندسة، ومعجم الكيمياء، ومعجم الحيوان والمعجم الطبي وغير ذلك كالقاموس، مثل قاموس الكيمياء وقاموس في العلوم التكنلوجيا.(18)

الخاتمة:

إن الحكمة على إيجاد هذه الكتب (المعاجم) تسهيل ما يصعب على الباحث وغير العرب إدراكه من الكلمات الغامضة أو الصعبة التي لا يظهر معناها جليا إلا باستعمالها في الجمل القصيرة أو الطويلة (من المعجم) وخاصة للناطقين بغير اللغة العربية من اللغات ولذلك إن وجود حركة المعاجم أمر في غاية الأهمية التي لا ينقطع منابعها قديما وحديثا إذ الطلاب في هذه الآونة الأخيرة بحاجة ماسة إلى المعجم في مختلف التخصصات لتعينهم على إدراك معان المفردة الصعبة من خلال استعمالها في المعاجم بأقسامها يقوم كل نوع بوظيفة خاصة، ولا شك أن كثيرا من التخصصات تبنّت فكرة إيجاد معاجم خاصة بها، مثل معجم علم النفس، معجم الفيزياء، معجم الكيمياء، معجم اللغة: أو معجم الهندسة، ومعجم الطب إلخ.

الهوامش:

- كارم السيد غنيم (دكتور) **اللغة العربية والصحوة العلمية الحديث** بدون تاريخ الطبعة، مكتبة إبن سيماء، ص:185
- عبد الحليم محمد عبد الحليم (الدكتور) **معجمات اللغة العربية والتطبيق**، الطبعة الأولى دار الطباعة المحمدية ص:3
- إبن جني، **الخصائص**، ط، 2، بيروت دار الهدى للطباعة والنشر، ص:47
- كارم السيد غنيم (دكتور) **اللغة العربية والصحوة العلمية** الحديث بدون تاريخ الطبعة، مكتبة إبن سيماء، ص:185
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، الطبعة الثانية، ص:615
- سقال ديزيره سقال، **نشأة المعاجم العربية وتطورها**، الطبعة الأولى، دار الصداقة العربية بيروت، ص:12

- أدورو، عبد الرحمن (الدكتور) قسم اللغة العربية بجامعة عمر موسى بر أدوا **مذكرة في علم اللغة العام**، لطلاب الدكتوراه، ص:9
- عبد الحليم محمد عبد الحليم (الدكتور) **معجمات اللغة العربية النظرية والتطبيق**، الطبعة الأولى دار الطباعة المحمدية ص: 31
- أحمد شيخ عبد السلام، **مقدمة في علم اللغة التطبيقي**، الطبعة الثالثة،1431هـ 2010م الناشر:International Islamic university Malaysia iium press : ص:211
- عبد الحليم محمد عبد الحليم (الدكتور) **معجمات اللغة العربية النظرية والتطبيق**، الطبعة الأولى دار الطباعة المحمدية ص:4
- أحمد شيخ عبد السلام، **مقدمة في علم اللغة التطبيقي**، الطبعة الثالثة، 1431هـ/2010م iium 199:
- المرجع السابق: ص: 200-201
- أميل يعقوب، **المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطويرها**، ص: 17
- عبد المجيد الحر، **المعجمات والمعاجم العربية**، الطبعة الأولى، 1994م دار افكر العربي، ص:19
- سقال ديزير (الدكتور) **نشأة المعاجم العربية وتطورها**، دار الصداقة العربية بيروت، ص:11
- عبد الحليم محمد عبد الحليم (الدكتور) **معجمات اللغة العربية النظرية والتطبيق**، الطبعة الأولى دار الطباعة المحمدية ص:33
- أدورو، عبد الرحمن (الدكتور) مرجع السابق، ص:9
- كارم السيد غنيم (الدكتور) **اللغة العربية والصحوة العلمية الحديث** بدون تاريخ الطبعة، مكتبة إبن سيماء، ص:196